الفصل الرابع

محاكاة جامعة بوردو

فهم الطلاب والتعرُّف عليهم عبر طيف الموهبة

س. ماثيوز فوغيت

C. Matthew Fugate

يتطلَّب نموذج التجميع العنقودي المدرسي الشامل من المعلِّمين أنْ يحافظوا على توقُّعاتهم الطموحة حيال طلابهم، وأنْ يوقنوا أنَّ الطلاب يمكنهم تحقيق إنجازات كبيرة بغض النظر عن المكان الذي يأتون منه، وأنْ يفهموا جيدًا المقصود بمفهوم الموهبة، ومَن القادر على إظهار السلوك المميز. من المهم أيضًا أنْ يوقن المعلِّمون أنَّ طلابهم فاعلون، ولديهم القدرة على التطوُّر، والإسهام في تغيير العالَم فيما بعدُ بغض النظر عن وضعهم وهم صغار.

إنَّ امتلاك هذه القناعة يُحتِّم علينا إسقاط الصور النمطية الجاهزة كلها، ومناقشة جميع الافتراضات المتعلِّقة بالموهبة والنجاح. وانطلاقًا من هذه القناعة، فإنَّنا نقترح المشاركة في تجربة محاكاة أطفال (الحياة الواقعية)، وإتباع ذلك بنقاش جاد عميق

عن ماهية تعليم الأطفال والإيمان بقدراتهم. تقول ممثّلة شخصية فوريست غامب السينمائية الشهيرة:

«الحياة مثل علبة الشوكولاتة... فأنت لا تستطيع أنْ تعرف ما الذي ستحصل عليه».

(Finerman & Starkey, 1994).

وكما هو الحال في هذه الحياة، فلا يوجد طالبان موهوبان متشابهان؛ وأنت لا تعرف ما سيؤول إليه هذا العقل الفتي القابع في صفك مستقبلًا. لقد قصدنا أن تكون تقارير الشخصيات التي تسلَّم إلى المعلِّمين بداية السنة الدراسية، مختصرةً وحاويةً الكَمَّ نفسه من المعلومات تقريبًا. إنَّ هذه التقارير هي توصيفات خيالية لتجارب مدرسية أبطالها مشاهير كُشِف عن شخصياتهم في الملحق (ج): خلاصات دراسات الحالة لجامعة بوردو (جمعتُ هذه البيانات كلها من مصادر موثوقة، وبيَّنتُ توصيفاتها الخيالية في هذه المصادر). أمَّا الملحق (أ): نظام إجراء المقابلة فقد ضمَّنتُه مصادر إضافية للمعلِّمين والطلاب؛ ليتعرَّفوا أكثر حياة هذه الشخصيات المشهورة.

بينما تكون منهمكًا في الاطِّلاع على هذه التقارير امنح نفسك الفرصة لاختبار ما تعرفه عن التجميع العنقودي المدرسي الشامل، وأجب عن الأسئلة الآتية:

1. ما أوجه القوة التي تلاحظها على هذا الطالب؟
2. ما الجوانب التي تستحق الاهتمام؟
3. ما المعلومات الإضافية التي تطلبها؟
4. هل يستحق هذا الطالب أن يكون في برنامج الطلاب الموهوبين الحالي في مدرستك؟
5. ما توصيات التجميع التي تقترحها لهذا الطالب(مرتفع، فوق المتوسط، متوسط، دون المتوسط، منخفض)؟ لماذا؟
6. هل توجد مصادر مجتمعية تود الولوج إليها؟

بعد أنْ تحدِّد هوية الشخصية، فكِّر في الأسئلة الآتية:

1. هل وجب تقديم خدمات إضافية للطالب تختلف عن تلك التي فكَّرتَ فيها بادئ الأمر؟
2. هل تعتمد مدرستك توصيات بناءً على معلومات محدودة بهذه الصورة؟
3. ما مضامين هذه المحاكاة التي يتعيَّن على المدارس التي تتبع التجميع العنقودي المدرسي الشامل أن تراعيها؟

الطالب الأول: ناثان كاسون (صربي)

ناثان كاسون طفل موهوب جدًّا يبلغ من العمر أربعة أعوام، ويتجاوز معدل ذكائه (150). وبالرغم من أنَّه يوصف بغريب الأطوار فإنَّ صحته ونموه ممتازان. وهو يتميَّز بقوة الملاحظة البصرية الفراغية والمهارات العقلية، ممَّا جعله إنسانًا خصب الخيال. يقضي ناثان معظم وقت يقظته في الليل، ويُفضِّل أنْ ينام نهارًا. وقد أفاد والداه -مرارًا وتكرارًا- أنَّ عاصفة كهربائية ضربت في ليلة ولادته، وأنَّهما يسمعانه غالبًا يتحدَّث إلى نفسه في ساعات الليل، ولا سيما في أثناء حدوث البرق.

يعتقد والدا ناثان أنَّ أحوال الطقس التي شهدت لحظة ولادته ربما أسهمت في جعله شغفًا باختراع الأدوات الكهربائية. وفي الواقع، فقد كان اختراعه الأخير ناعورة ماء تعمل من دون مجاديف باستخدام غصن صغير محورًا للعجلة، وقد لفتت الطريقة السلسة التي تدير بها العجلةُ الماءَ نظر ناثان.

يتمتع ناثان بحواس حادة جدًّا، ويزعم أنَّه قادر على الاحساس بالأشياء في غرفة حالكة الظلام؛ وذلك عن طريق (إحساس خاص) في جبهته. ويزعم أيضًا أنَّه قادر على سماع صوت الذبابة عند ارتطامها بالجسم الذي تقف عليه، وأنَّ جسمه يُصدِر أصواتًا عند سماع ضجيج السيارات من بُعْد ميل واحد. وبالرغم من أنَّ والدة ناثان لم تتلقَّ تعليمًا نظاميًّا، فإنَّها ذكية جدًّا، وقد تمكَّنت من اختراع أشياء عدَّة جعلت الحياة في منزلها أكثر راحةً ويسرًا؛ حتى

إنَّها حفظت آلاف القصائد والأساطير التي تخص وطنها. أمَّا والد ناثان فهو يعمل أسقفًا في الكنيسة الصربية الأرثوذكسية، ويحظى باحترام كبير بين الناس بسبب خطابته الرصينة.

الطالب الثاني: كاتي ليو (صينية)

يبلغ عمر كاتي ليو ست سنوات، وقد بدأت لِتَوِّها صفها الأول. وُلِدت كاتي في الصين، ثم هاجرت وأخويها مع والدها إلى الولايات المتحدة بعد بضع سنوات. بلغ معدل كاتي (95) في اختبار الذكاء؛ وذلك أنَّ الاختبار كان باللغة الإنجليزية، وكاتي ووالداها يتمسَّكان بالتقاليد الصينية، ولا يتكلمان إلَّا بلغتهما الأصلية في المنزل؛ خوفًا من أنْ (تَتَأَمْرَكَ) هي وأخويها، فكان استعمال كاتي للغة الإنجليزية محدود جدًّا. ولكنَّ المثير للاهتمام ذكر كاتي في مقدمة أهدافها الشخصية أنَّها تود أنْ تصبح مثل زميلاتها الأمريكيات في الصف.

كانت كاتي قارئةً نهمةً، وكاتبةً تملك قدرةً على كتابة روايات طويلة جدًّا وقصها. وقد أبدى والداها اهتمامًا كبيرًا بدراستها، فنقلا إلى إدارة المدرسة رغبتهما في إشراك كاتي في البرامج العلمية لمساعدتها على أنْ تصبح طبيبةً، ولكنَّ أساتذتها أفادوا بأنَّ والديها يعرِّضانها لضغط هائل، ولا سيما الأم.

في المقابل، كانت السيدة ليو مُحِبَّةً للموسيقى، فشجَّعت ابنتها أن تتعلم العزف على البيانو، ولهذا أصبحت كاتي عازفة بيانو ماهرة بالنسبة إلى سنِّها. إضافةً إلى كل ما سبق، فقد صرَّحت الوالدة منذ دخول ابنتها المدرسة أنَّه لا شيء يرضيها سوى حصول كاتي على العلامة النهائية في كل امتحان.

الطالب الثالث: لوبسانغ ثوندوب (آسيوي)

لوبسانغ صبي مرح يتمتع بصحة جيدة، ويبلغ من العمر ست سنوات، وهو الآن في الصف الأول الابتدائي. وُلِد لوبسانغ لأبوين مزارعين من مهاجري هضبة التبت، وقد بلغ

معدله في اختبار الذكاء (135)؛ لذا فهو يدرس في مدرسة خاصة بالطلاب المميَّزين لأنَّ مدرسته المحلية لا تستطيع تلبية حاجاته بصورة كافية.

يتميَّز لوبسانغ بسرعة التعلُّم، والمهارة في القراءة، وبمهارات محاكمة ذهنية متقدِّمة جدًّا. لدى لوبسانغ ستة من الإخوة والأخوات، وقد أصبحت والدته وأخته الكبرى مسؤولتين عن رعايته في المنزل. يقضي لوبسانغ ساعات عدَّة يراقب فيها العالَم، ويلاحظ في الغالب تفاصيلَ وأنماطًا تتجاوز قدرة نظرائه على الملاحظة. يوصف لوبسانغ بأنَّه ولد عطوف جدًّا، ويذكر والداه كيف أنَّه كان يساعدهم في مزرعة العائلة بجمع البيض، وأنَّه لاحظ مرَّةً نشوب قتال بين مجموعة من الدجاج، فما كان منه إلَّا أنْ أسرع ليساعد الطرف الخاسر. تحدَّث لوبسانغ -مُذْ كان طفلًا- عن حبِّه السفر إلى أماكن بعيدة، وقد اعتاد والداه رؤيته وهو يضع أشياءه في حقيبة، ويتكلم عن المواقع الغريبة التي يود زيارتها.

الطالب الرابع: سانتيني براون (أمريكي من أصل إفريقي)

عُمُرُ سانتيني سبع سنوات، وهو طالب في الصف الثاني الابتدائي، ومعدل ذكائه (120)، ولديه قدرة كبيرة على تعلُّم الرياضيات، وهو أيضًا طفل اجتماعي ومحبوب جدًّا من أساتذته وزملائه في المدرسة. يعيش سانتيني (الفرد الأصغر بين إخوته وأخواته الأربعة) في مجمع سكني مَوَّلته الحكومة، وقد تعوَّدَ غياب والده عن المنزل معظم سني حياته، في حين عملت والدته في مهن عدَّة، وها هي تتلقى معونات عامة لتتمكَّن من رعاية أطفالها. وإحساسًا منه بوضع العائلة المادي المتعثِّر، فقد شوهد سانتيني وهو يحمل صندوق غداء أخيه، الذي يستعمله حقيبةً، ليبيع سائلًا مرطِّبا للجسم، وأحجارًا مزركشةً يدويًّا، طارقًا أبواب المنازل كلها ليساعد عائلته بكسب القليل من النقود.

الطالب الخامس: نابها باتيل (هندية)

نابها فتاة في سنِّ السابعة، وهي في الصف الثاني الابتدائي. قضى والد نابها معظم حياته داخل السجن وخارجه بسبب معتقداته السياسية المتطرفة، في حين تعاني والدتها مرضًا مزمنًا في التنفُّس، وقد توفي أخوها الأصغر بعد يومين من ولادته. عندما يكون والد نابها في المنزل فإنَّه يتحوَّل إلى مركز للنشاط السياسي حيث يستقطب زُوَّارًا يقصدون المكان بصورة دائمة. وفي الواقع، فإنَّ هؤلاء الزُوَّار ليسوا سوى نشطاء سياسيين معارضين للحكومة، وكانوا قد دخلوا السجن مع والدها.

ترعرعت نابها على سماع النقاشات السياسية لأبيها وزُوَّاره، وقد ولَّدت هذه النقاشات لديها شعورًا بعدم الثقة تجاه الحكومة؛ فكانت تُعبِّر عن آرائها السياسية المتطرفة بلغة فصيحة تتجاوز سِنَّها الصغيرة. ونتيجةً لهذه الظروف في منزلها؛ فقد اعتادت نابها أنْ تغيب كثيرًا عن مدرستها، وكلما ذهبت إلى المدرسة واجهت صعوبات في التواصل مع أقرانها.

الطالب السادس: آدا غرين (أمريكية من أصل إفريقي)

انتقلت عائلة آدا التي تنحدر من ولاية ألاباما إلى مدينة شيكاغو عندما كانت آدا في سنِّ الثالثة؛ وذلك رغبةً من عائلتها في توفير فرص تعليمية أفضل لها ولأخيها وأختها الكبرى. يعمل والد آدا نجَّارًا، في حين تعمل أمها معلِّمة للمرحلة الابتدائية. أصبح عُمُرُ آدا اليوم سبع سنوات، وهي في الصف الثاني الابتدائي، ولديها ولع شديد بالدراسة، والابتسامة لا تفارق مُحَيَّاها بحسب كل مَن في المدرسة.

عندما لا تكون آدا في صفها فإنَّها تكون غالبًا في مكتبة المدرسة؛ فهي تحب قراءة الكتب العلمية، ولا سيما كتب الفلك، فضلًا عن شغفها بالرقص، وامتلاكها موهبةً فائقةً في تعلُّم اللغات. لدى آدا إحساس كبير بأهدافها الشخصية؛ فعندما سُئِلت في استطلاع بالصف التحضيري عمَّا تود أن تصبح مستقبلًا، أجابت من دون تردُّد أنَّها تود أنْ تكون عالِمةً عندما

تكبر. ولمَّا سألتها معلِّمتها عمَّا إذا كانت تريد أن تصبح ممرضة أجابت آدا فورًا وبكل ثقة: «سأذهب إلى الجامعة، وأصبح عالِمةً».

الطالب السابع: ديفيد كولينز (أمريكي من أصل إفريقي)

عُمُرُ ديفيد ثمانية أعوام، وهو طالب في الصف الثالث الابتدائي. يمثِّل ديفيد الابن الأوسط في العائلة؛ إذ لديه أخت أكبر منه سنًّا، وأخ أصغر سنًّا. أمَّا والده الذي يعمل قسيسًا في كنيسة مجاورة فقد أنهى دراسته الجامعية، في حين أنهت والدته (ربة المنزل) دراستها الثانوية، وعملت بعض الدراسات بعد ذلك. يُعَدُّ التعليم أمرًا مهمًّا جدًّا بالنسبة إلى عائلة كولينز، وقد وضع والدا ديفيد معايير دراسية عالية جدًّا لأطفالهم الثلاثة، وقدَّما لهم العون والدعم، بيد أنَّهما لم يُقدِّما لهم الحماية اللازمة.

استُبعِد ديفيد من الصف الأول؛ لأنَّ عمره لم يكن يتجاوز خمس السنوات، ولأنَّ الحد الأدنى المقبول لسنِّ الطلاب هو ست سنوات. صحيح أنَّ معدل ذكائه ليس معروفًا بصورة دقيقة، غير أنَّ أساتذته يصفونه بالطالب اللامع الذي يدخل في مناقشات معقَّدة، ويُعبِّر عن أفكاره بطريقة نادرة تتجاوز سنَّه. يستمتع ديفيد بالسباحة والعزف على البيانو والغناء، ويُظهِر أيضًا اهتمامًا خاصًّا بالمناظرات والمظالم الاجتماعية في العالم.

الطالب الثامن: جانيس فيليبس (قوقازية)

عُمُرُ جانيس ثمانية أعوام، وهي طالبة في الصف الثالث الابتدائي. يعمل والد جانيس مهندسًا في الجيش المنتشر خارج حدود الوطن؛ لذا أخذت والدتها وجدتها على عاتقيهما مسؤولية تربية جانيس وأختها التي تَصْغرها بأربع سنوات. تحلم جانيس أنْ تصبح يومًا ما كاتبة مثل أمها، ويبلغ معدل ذكائها (125)، وهي طالبة مميَّزة تهتم بالحيوانات والطبيعة؛ إذ تربي العائلة الكثير من الحيوانات الأليفة في المنزل، وتستمتع

جانيس بقضاء الوقت معها.

تحرص الوالدة على تقديم العون والرعاية لابنتها، وتشجِّعها على تحقيق أحلامها، وتحثُّها على النجاح. وبالرغم من أنَّ جانيس طالبة مميَّزة فإنَّ شغفها بالطبيعة يتجاوز اهتمامها بواجباتها المدرسية، ويعوِّق تركيزها على دروسها. ويُعلِّق معلِّمو جانيس على ذلك بالقول إنَّه عندما تركِّز جانيس فإنَّها تصبح قادرةً على أداء عمل مميَّز.

الطالب التاسع: أنجيلا بيز (من أصول إسبانية)

عُمُرُ أنجيلا ثمانية أعوام، وهي طالبة في الصف الثالث الابتدائي. تعيش أنجيلا مع أخيها ووالديها في مشروع سكني مَوَّلته الحكومة، ويتكلم غالبية سكانه اللغة الإسبانية. أنهت والدة أنجيلا بعض الدروس في مرحلة ما بعد التعليم الثانوي، بيد أنَّ والدها درس حتى الصف الثالث الابتدائي. وبالرغم من تفرُّغ كلا الوالدين للعمل بدوام كامل، فإنَّ العائلة تعاني متاعب ومشكلات مالية.

تعشق أنجيلا القراءة، ولا سيما روايات الألغاز، وتتميَّز بقدرتها الفائقة على التوسُّط في النزاعات بين أقرانها. تولي والدة أنجيلا اهتمامًا خاصًّا بالتعليم، وتشجِّع ابنتها وأخاها على التفوُّق الدراسي في المدرسة. وكانت معلِّمة أنجيلا قد لاحظت العام الماضي أنَّ أنجيلا تتمتع بأخلاقيات عمل عالية. وبالرغم من أنَّ الأطباء شخَّصوا إصابة أنجيلا بمرض السكر الشبابي، فإنَّها لم تسمح للمرض أن يؤثِّر في تحصيلها الدراسي، وتجاوز أداؤها التوقُّعات المأمولة من الطلاب في هذه المرحلة الدراسية.

الطالب العاشر: جيمس ويليامز (أمريكي من أصل إفريقي)

عُمُرُ جيمس تسع سنوات، وهو الآن في الصف الرابع الابتدائي. تزوجت والدتها عندما كانت في سنِّ الثالثة عشرة، وعاش الزوجان معًا أحد عشر عامًا قبل أن يقع الطلاق بينهما منذ سنة خلت. تأخذ والدة إنجيلا على عاتقها مسؤولية تربية جيمس وأخيه، وتعمل في مهنتين أو ثلاث مهن مختلفة لتعيل العائلة. وبالرغم من قول جيمس إنَّه يرغب أنْ يكون

طبيبًا، فإنَّه يتبوَّأ مراتب متأخرة بين طلاب صفه. ليس ثمَّة معلومات عن معدل جيمس في اختبار الذكاء، غير أنَّ زملاءه في الصف يسخرون منه غالبًا، وينعتونه بالغبي.

يملك جيمس مزاجًا انفعاليًّا، وهو سهل الاستفزاز، وغالبًا ما يقابل سخرية زملائه بسيل من المشاعر الغاضبة. وقد حاول مرارًا إيذاء زملاء صفه، وعُرِف عنه مهاجمته لوالدته حين يصاب بنوبة إحباط في المنزل. أمَّا في غرفة الصف فمن المعروف أنَّ جميس يقع غالبًا في المشكلات، معطِّلًا سير الدروس.

الطالب الحادي عشر: مارك ماتيسون (قوقازي)

عُمُرُ مارك تسع سنوات، وهو يستهل دراسته في الصف الرابع الابتدائي. وكان مارك قد عانى وهو في سنٍّ أصغر تأخُّرًا في تطوُّر الكلام، وخضع لاختبار الذكاء فكان معدله (82). طرد مارك من إحدى المدارس بسبب ثورانه العاطفي وانفجاره في وجه معلِّميه والإداريين، وقد استمرت معه هذه الانفعالات النفسية والوجدانية في مدرسته الحالية.

يعاني مارك المرض بصورة متكرِّرة، وقد أُخرج من المدرسة مؤقَّتًا بعدما ثبتت معاناته انهيارات عاطفية. لا يحب مارك القواعد الصارمة في مدرسته الحالية، ويوصف غالبًا بأنَّه إنسان غير اجتماعي، ويمكن رؤيته يقرأ منعزلًا عن زملائه، أو ينزوي إلى أحد عوالمه الخاصة. وفي المقابل، فإنَّه يتميَّز في مختلف المواد التي يَعُدُّها ممتعةً مثل الرياضيات. أمَّا في المنزل فهو يستمتع بحل ألغاز الرياضيات، وحل المسائل مع والديه وعمه، وحصة الرياضيات هي الحصة الوحيدة التي يُنهي فيها واجباته بصورة منتظمة. تحب والدة مارك الموسيقى، وتشجِّعه أن يعزف على آلتي الكمان والبيانو. وأمَّا علاقته بأخته فحسنة، وهما يستمتعان معًا ببناء منازل من البطاقات. يدرس والدا مارك مجدَّدًا فكرة نقله إلى مدرسة جديدة.

الطالب الثاني عشر: ويليام هورن (قوقازي)

عُمُرُ ويليام عشر سنوات، وهو يدخل الآن الصف الخامس. يَظهر ويليام دائمًا بمظهر حسن، وهو معروف بأنَّه طالب منظَّم، ذو شخصية قيادية، محبوب من معلِّميه وزملائه في الصف. أحرز ويليام في اختبار الذكاء معدل (159)، وكانت أعماله دائمًا مميَّزة متقنةً، وهي أعمال يُتوقَّع أداؤها من طلاب أكبر منه سنًّا. وبالرغم من تميُّزه في معظم المواد فقد كان اهتمامه أوضح ما يكون في مادة الرياضيات، وهو كاتب جيد، وكتاباته سلسة، وقد أظهر نضجًا يتجاوز سنواته العشر. أمَّا خارج الصف فهو لاعب كرة سلة متحمِّس يقضي ساعات طويلة في ممارسة التمرينات بعد المدرسة، وفي عطل نهاية الأسبوع. وفي المقابل، يرعى والدا ويليام اهتماماته، وهما متحمِّسان جدًّا لتعليمه.

الطالب الثالث عشر: كالب رامزي (من سكان أمريكا الأصليين)

يدخل كالب الآن الصف الخامس بعدما بلغ عامه العاشر. يعاني والد كالب الاكتئاب، ويتغيَّب غالبًا عن المنزل أيامًا عدَّةً بعد إفراطه في تناول المشروبات الكحولية، ولهذا فقد تعذَّر عليه الالتزام بعمل ثابت، ممَّا اضطر والدة كالب أن تعمل في مهنتين مختلفين لتتمكَّن من إعالة العائلة.

اكتشف الأطباء عند ولادة كالب وجود ماء زائد في دماغه، فخضع لعملية جراحية في الدماغ بعد ستة أشهر من ولادته. لم يعلِّق الأطباء آمالًا كبيرةً على نجاة كالب، وأخبروا والديه أنَّه حتى في حال نجاة كالب فإنَّ دماغه سيبقى مصابًا بأذى شديد دائم. ولكن، خلافًا للتوقُّعات كلها، فقد نجا كالب، وتعلَّم القراءة في سنِّ الثالثة. وبالرغم من عدم خضوعه رسميًّا لاختبار الذكاء فإنَّه تمكَّن في سنِّ الخامسة من قراءة روايات كاملة وفهمها. ولكن، لسوء الطالع، فقد عانى كالب نوباتٍ مزمنةً نتيجةً للجراحة، وقد جعله هذا الأمر، إضافةً إلى مهاراته الدراسية المتقدِّمة، طالبًا منزويًا في المدرسة، يسخر منه غالبًا زملاؤه في المدرسة. يستمتع كالب بالعلوم، وقد ذكر غير مرَّةٍ أنَّه يريد أنْ يصبح طبيبًا يومًا ما.